حروب الرسول مع قريش:

كان الرسول (ص) يعلم أن قريشاً لا تكتفي بإخراج المسلمين من مكة وإنما تحاول استئصال الإسلام، ولما تيسر للرسول (ص) وحدة المسلمين وتألفهم وقوتهم، فرض عليهم الجهاد في سبيل الله للدفاع عن الدين الإسلامي وعن أنفسهم، والوقوف بوجه الظلم والطغيان وإعلاء كلمة الإسلام، وكانت خطة الرسول (ص) هي الوقوف بوجه قريش والتعرض لقوافلها التجارية التي تعتمد عليها في حياتها الاقتصادية، فبدأ بإرسال السرايا والحملات لهذا الغرض، وقد شارك فيها المهاجرون والأنصار، ومن أهم المواقع والحروب التي حصلت بين المسلمين والمشركين هي:

١ – **موقعة بدر الكبرى (٢هـ)** : في السنة الثانية للهجرة وردت الأخبار إلى الرسول (ص) بقدوم قافلة كبيرة من الشام كانت فيها أموال وبضائع لمعظم تجار قريش، وكان يقودها أبو سفيان فصمم الرسول (ص) على مفاجأة القافلة في موضع يقال له (بدر) يبعد نحو ثلاثين ميلاً إلى الجنوب الغربي من المدينة، إلا أن أبا سفيان قائد القافلة علم بعزم الرسول (ص) فأرسل في الحال إلى مكة يطلب النجدة من قريش، وفي الوقت نفسه غير الطريق الذي كانت تسلكه القافلة ليضمن سلامتها، ولما تأكد من نجاة القافلة أرسل إلى قريش يعلمها بنجاة القافلة، وعدم الحاجة إلى النجدة، ولكن قريشاً جمعت جيشاً كبيراً يناهز عدده الألف مقاتل، وهو يبلغ ثلاثة أضعاف جيش المسلمين، إذ أرادت قريش انتهاز هذه الفرصة للانتقام من الرسول (ص) والمسلمين، وفي اللحظة الأخيرة علم الرسول (ص) بنجاة القافلة، وبوصول جيش المشركين الذي جاء لحمايتها، وعندئذ استشار الرسول أصحابه فيما يمكن عمله تجاه قريش في هذه اللحظة الحرجة، فاجتمع رأي المسلمين على مقاومة قريش ومحاربتها، ففي السابع عشر من رمضان

سنة ٢ هـ. وقعت المواجهة بين جيش المسلمين بقيادة الرسول (ص) وجيش المشركين عند (بدر)، وقد وضع الرسول الكريم لأصحابه خطة حكيمة للمعركة وثبت عزائمهم، ودارت حرب عنيفة بين الطرفين كان النصر فيها للمسلمين بعد أن قتل عدد من رجالات قريش وشجعناها كابي جهل وغيرة، وأسر من المشركين نحو سبعين رجلاً وهرب الباقون.

يرجع سبب انتصار المسلمين مع قلة عددهم على قريش مع كثرة عددهم، إلى قوة إيمان المسلمين وارتفاع معنوياتهم وتفانيهم في سبيل الله والذود عن الرسول (ص)، وقد كانت موقعة بدر معركة حاسمة في تاريخ الإسلام، فقد كان الرسول (ص) يقول في أثناء القتال: (اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعد اليوم) فهي التي ثبتت مركز الإسلام في المدينة وزادت في نفوذ سلطته بين العرب، ويمكن القول إن موقعة بدر هي التي مهدت لانتشار الإسلام في الأرض، وأنها فتحت الطريق أمام العرب المسلمين لينشروا تعاليم الإسلام.

٢-موقعة أحد (٣هـ): إن انتصار المسلمين يوم بدر ملا نفوس مشركي قريش ألماً وحزناً، ومما زاد في هذا الألم، استمرار المسلمين بمهاجمة قوافلهم التجارية، لذلك صممت قريش أن تقف من الرسول (ص) موقفاً حازماً، فجهزت جيشاً كبيراً بقيادة أبو سفيان بلغ عدده ثلاثة آلاف مقاتل، ولما علم الرسول (ص) بقدوم هذا الجيش أراد الاعتصام في المدينة نفسها والتحصن فيها، ليتمكن كافة أهل المدينة من مقاومة المعتدين، ولكن قسماً كبيراً من المسلمين كانوا يرون الخروج إليهم، فخرج الرسول (ص) في ألف مقاتل والتقى الفريقان عند جبل أحد على مقربة من المدينة، وفي بداية المعركة انتصر المسلمون لبلائهم الحسن، ولأتباعهم خطة الرسول (ص) حين وضع الرماة على سفح الجبل لحماية مؤخرة الجيش، وطلب إليهم ألا يغادروا مواضعهم، ولكنهم لما رأوا انتصار المسلمين وكثرة الغنائم تركوا أماكنهم ليشاركوا غيرهم في جمع

الغنائم، عندئذ انتهز المشركون هذه الفرصة ليقوموا بحركة التفاف حول المسلمين، وداهموهم من ورائهم، فاختلت صفوف المسلمين وأصيب الرسول (ص) بشيء من الأذى ودافع عنه أصحابه وحموه بأنفسهم.

تعد موقعة أحد درساً بليغاً للمسلمين عرفوا به سوء عاقبة عدم إتباع إرشادات الرسول (ص)، والإلحاح عليه بالخروج إلى خارج المدينة، كما عرفوا به كيد المنافقين حين انسحبوا من جيش المسلمين وخالفوا الأوامر العسكرية، وقد استشهد في (أحد) سبعون صحابياً منهم حمزة بن عبد المطلب عم الرسول (ص)، بعد أن استبسلوا في القتال وأبلوا فيه أحسن البلاء.

٣-**موقعة الخندق (٥هـ)** : كأن اليهود يحرضون القبائل العربية على قتال الرسول (ص) وقالوا لقريش: إننا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، وشعرت قريش أن انتصارهم في (أحد) لم يكن له أهمية، لذلك وافقوا اليهود على استئصال المسلمين واتفقوا لتنفيذ خطتهم مع قبيلتي (غطفان وسليم) وجمعوا عشرة ألاف رجل منهم، أطلق عليه القرآن الكريم اسم (الأحزاب)، واتجهوا المدينة في نحو السنة الخامسة للهجرة، فلما عرف الرسول (ص) بهذه الحملة امر بحفر خندق حول المدينة باقتراح الصحابي سلمان الفارسي، فحفر المسلمون الخندق ثم بنوا سوراً حول الأماكن المكشوفة من المدينة، وقد أصاب المسلمين رعب وخوف حين رأوا جيوش الأعداء تأتيهم من كل الجهات كما وصفه القرآن الكريم في سورة الأحزاب ومما زاد في قلقهم هو تذبذب المنافقين، ونكث يهود المدينة عهدهم مع الرسول واتفاقهم سراً مع قريش على محاربة المسلمين.

إن بقاء الرسول (ص) في المدينة وتحصينها بالخندق أربك الأحزاب ولم يقتحم الخندق منهم إلا أفراداً، وقد تمكن المسلمون ببعض المفاوضات السرية أن يثيروا الشكوك في

صفوف أعدائهم وان يوقعوا التفرقة بينهم، ثم أن هبوب الرياح العاصفة الباردة أهلكت حيوانات الأحزاب وقلعت خيامهم، مما زاد في اضطرابهم وقلقهم، فقرروا التراجع قبل أن يلاقوا جيش المسلمين، وبذلك هزم الأحزاب ونجا المسلمون من حمله تعد أكبر الحملات التي نظمتها قريش ضد المسلمين.

علاقات الرسول مع يهود المدينة:

لم يكن الرسول (ص) بعد وصوله إلى المدينة يحمل عداءاً لليهود لأنهم من أهل الكتاب، لذلك سالمهم وعاهدهم ووفي لهم بعهودهم، ونظم علاقاته بهم في الوثيقة أو ما يطلق عليه بـ (دستور المدينة)، ولكنهم حين رأوا تعاظم أمر الرسول (ص) والإسلام وانتصاراته على قريش، وانتشار دعوته بين الناس، دب في قلوبهم الحسد فأخذوا يقاومونه ويكيدون المكائد والدسائس، وينقضون عهودهم مع الرسول (ص).

فعندما انتهت معركة بدر الكبرى سنة ٢ هـ بانتصار المسلمين على مشركي قريش كان (بنو قينقاع) أول جماعة من اليهود نقضت عهدها مع الرسول (ص) إذ قالوا له: يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوما (أي قريش) لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، والله لئن حاربناك لتعلمن إنا لنحن الناس، وابتدأ النزاع بينهم وبين المسلمين، وحاصرهم المسلمون واضطروهم إلى التسليم والخروج من المدينة، وكان لهذا العمل أحسن الأثر في تقوية نفوذ الدولة الإسلامية الفتية.

اما يهود بني النضير فقد حاولوا بعد معركة أحد التي ضعف بعدها المسلمون ضعفاً وقتياً، الاستخفاف بالرسول (ص) وزادوا من مؤامراتهم فقد حاولوا اغتيال الرسول (ص) وقتله، فأخبر الرسول أصحابه بالخبر وأمرهم بالاستعداد لحربهم والتخلص من خطرهم، فحاصرهم المسلمون واشتد الخوف بهم فطلبوا من الرسول (ص) أن يوافق على جلائهم عن المدينة والكف عن دمائهم، فقبل الرسول (ص) بما طلبوه وخرجوا إلى خيبر وبلاد الشام وصارت أملاكهم ملكاً عاماً للمسلمين.

ولم تنته دسائس اليهود بإخراج بني النضير من المدينة بل راح جماعة منهم يؤلبون قريشاً ويحرضون القبائل الأخرى على قتال المسلمين، وهو ما أدى إلى حدوث موقعة الخندق (الأحزاب) كما ذكرنا ذلك فيما مضى، فبعد انتهاء تلك الموقعة التي انتهت

بفشل الأحزاب ورجوعهم خائبين، توجه المسلمون إلى يهود بني قريظة الذين نكثوا عهدهم مع الرسول (ص) فحاصروهم لمدة خمسة وعشرون يوماً إلى أن تمكن المسلمون من الانتصار عليهم وطردهم خارج المدينة. وهكذا تخلص المسلمون من خطر اليهود ولم تقم لهم بعد هذه الموقعة قائمة في المدينة.

أما عن يهود خيبر تقع خيبر قرب المدينة فبعد صلح الحديبية (سنأتي للحديث عنه بعد قليل) كان من أهم نتائج هذا الصلح هو التفريق بين قريش وحلفائهم من يهود خيبر، الذين كانوا يتربصون بالمسلمين ويحرضون القبائل على الرسول (ص)، فكانوا خطراً على المسلمين من جهة الشمال، لذلك توجه الرسول (ص) بجيشه نحو خيبر سنة ٧ هـ، فحاصرهم وافتتح حصونهم وصالحهم على أن يبقوا فيها ويدفعوا نصف إنتاج أراضيهم للمسلمين.

صلح الحديبية:

أصبح للإسلام والمسلمين بعد موقعة الخندق مكانة محترمة بين القبائل كان الرسول (ص) بالرغم من أذى مشركي مكة له، لم يكن يريد الانتقام منهم بل هدايتهم إلى الطريق الصحيح وعبادة إله واحد ونبذ عبادة الأصنام والأوثان، فقرر أن يسالم قريشاً، فخرج سنة ٦هـ لزيارة مكة قبيل الح معتمراً ليظهر للقبائل القادمة للحج قوة أصحابه وأتباعه واحترامهم له وليبرهن لهم أن المسلمين يحترمون الكعبة، فسار بـ(١٤٠٠ شخص) من أصحاب حتى بلغ الحديبية قرب مكة، فلما عرفت قريش ذلك تأهبوا للدفاع عن مكة وصد المسلمين عن زيارة الكعبة مع أن الرسول (ص) كان محرماً، خرج لزيارة الكعبة والبيت الحرام، وفي الوقت نفسه كان بين مشركي قريش من يريد السماح للرسول وأصحابه بالدخول والزيارة طلباً للصلح وكرههم الحروب، ثم جرت مفاوضات بين الطرفين انتهت بعقد صلح الحديبية بينهما وبموجبه اتفقا على :

١-أن تسمح قريش للرسول (ص) وأصحابه بزيارة مكة في العام القابل لمدة ثلاثة أيام.

٢- عقد هدنة بينهما مدة عشر سنوات يكف بعضهم عن البعض الآخر.

٣- يحق لكل من الطرفين عقد محالفات مع من يشاءون من القبائل.

لقد كان هذا الصلح نصراً كبيراً للمسلمين لان قريش اعترفت بالمسلمين طرفاً مساوياً لهم، فقام الرسول (ص) بعقد محالفات مع القبائل التي كانت تخاف أن تتحالف معه بسبب قوة قريش، فتحالفت خزاعة مع الرسول (ص)، وصارت للمسلمين الحرية يسيرون حيث شاءوا، كما تمكن الرسول (ص) بعد هذا الصلح من دعوة أمراء الجزيرة العربية وملوك الفرس والروم والحبشة والقبط في مصر يدعوهم بدعوة الإسلام، وتمكن المسلمون حسب الاتفاق من زيارة الكعبة بعد عام من ذلك، وكان لهذه الزيارة أثر كبير في تقوية وتعزيز الإسلام وهيبة الرسول (ص).

فتح مكة (٨هـ):

دخلت بعض القبائل العربية في حلف الرسول (ص) مثل خزاعة كما ذكرنا، ودخلت قبيلة (بكر) في حلف قريش، وقد نقضت قريش بنود صلح الحديبية فوقفت إلى جانب قبيلة (بكر) ضد (خزاعة)، ولذلك قرر الرسول (ص) فتح مكة، فجهز جيشاً عدته عشرة آلاف مقاتل من المهاجرين والأنصار وحلفائهم من القبائل المسلمة، وساروا نحو مكة في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة، ولم يكن الرسول (ص) يريد أن تعلم قريش بمسير المسلمين لئلا تستعد لحربهم، وعندما علمت قريش بقدوم الرسول (ص) إليها، تخاذلت وقررت مفاوضة المسلمين وأرسلت أبا سفيان مع اثنين لهذا الغرض فاسلم أبو سفيان، وحصل على أمان لأهل مكة، فمن لزم بيته أو دخل المسجد الحرام فهو أمن، ولم تقع بين الطرفين إلا مناوشات بسيطة، فلما نزل الرسول (ص) مكة واطمأن الناس سار إلى الكعبة وطاف بها وعامل أهل مكة بكرم وتسامح وقال: (يا معشر قريش ما تظنون إني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، اخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء)، ثم دخل الرسول (ص) البيت الحرام وأزال ما به من الصور والتماثيل، وعمد إلى الأصنام التي في الكعبة وما حولها فحطمها، وأسلم أهل مكة تدريجياً ولم يتخلف منهم أحد، ويمكن أن بعد فتح مكة نهاية للدين الوثني، لان قريشاً كانت في نظر العرب حماة هذا الدين وأنصاره، فلما خضعت قريش للرسول (ص) كان ذلك القضاء التام على الوثنية في الجزيرة العربية، ولم يبق في السنة التالية لفتح مكة وثني أو مشرك إلا وأعتنق الإسلام.

موقعة حنين (٨هـ):

لم يبق أمام المسلمين قبيلة قوية تهددهم إلا قبيلة (هوازن) التي كانت من القبائل الكبيرة في الحجاز، ومعهم أهل الطائف من قبيلة ثقيف، ولما سمع الرسول (ص) باستعداد هوازن وثقيف لحربه خرج إليهم في جيش كبير عدته اثنا عشر ألف مقاتل، غير أن هوازن وثقيفاً كمنوا في وادي (حنين) وفي شعابه، فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً، وذلك في شهر شوال سنة ٨هـ، وقد هزم المسلمون في البداية غير أنهم بقيادة الرسول (ص) استطاعوا التغلب على أعدائهم بثباتهم وشجاعتهم وهزموهم هزيمة منكرة، وغنموا غنائم كثيرة من مال وسلاح ومتاع، وبعد (حنين) توجه المسلون إلى الطائف وحاصروها فتحت لهم أبوابه..

عام الوفود (٩هـ):

كان لفتح مكة وانتصار المسلمين في (حنين) أثر كبير في اتساع نفوذ المسلمين، فقد أصبحوا حماة الكعبة والبيت الحرام والمسيطرين على أسواق الحجاز وعلى الطرق التجارية، ولذلك وفي عام ٩هـ أخذت الوفود تتوارد على الرسول (ص) من مختلف القبائل في أنحاء الجزيرة العربية وصارت تعلن إسلامها وخضوعها له، وبذلك شمل الإسلام معظم أنحاء الجزيرة العربية، وأرسل الرسول (ص) إلى مختلف القبائل من يقرؤهم القرآن الكريم ويعلمهم أصول الدين ويجبي منهم الزكاة.

حجة الوداع (١٠ هـ):

في السنة العاشرة للهجرة توجه الرسول (ص) إلى الحج في جمع عظيم من المسلمين، وأطلق على هذه الحجة اسم (حجة الوداع) لأنها الأخيرة وخطب الرسول (ص) في الحجاج خطبته الشهيرة بـ (خطبة حجة الوداع) بين فيها كثيرا من تعاليم الإسلام ومبادئه، فقد أكد على حرمة النفس والمال وان المسلمين أخوة متساوون لا يمتاز واحد

عن واحد إلا بالعمل والتقوى وأوصى بمعاملة النساء بالإحسان، وحرم الربا، وأكد (ص) على أن للمسلمين دستورهم العظيم وهو القرآن الكريم كتاب الله العزيز، وسنة رسوله (ص) وأهل بيته (ع).

مرض الرسول ووفاته:

بعد رجوع الرسول (ص) من مكة إلى المدينة بعد أن أدى فريضة الحج، أعد حملة عسكرية وولى قيادتها أسامة بن زيد بن حارثة، وأراد إرسالها إلى الشام الحماية وتأمين الحدود الشمالية للجزيرة العربية، ولكن مرض الرسول (ص) حال دون إرسال هذه الحملة، فقد أصيب (ص) بحمى شديدة أدت إلى وفاته في الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ١١هـ وله من العمر ثلاث وستون سنة.

لقد امتاز الرسول (ص) بشخصيته الفذة وخلقه العظيم وشمائله السامية ونبله وكرمه وقدرته على اجتذاب الآخرين إليه، وفي روعة بيانه وقوة حجته، وفي الصبر والثبات والتواضع والعمل لخير الناس أجمعين، وفي جهاد دام ثلاثة وعشرين عاماً، وكان في أثناء هذه المدة أسوة حسنة لأصحابه وقدوة للمسلمين في كل ما قال وما فعل وما قرر.

وقد استطاع الرسول (ص) أن يوجه العرب وجهة حسنة في الحياة فتمكن من أن يكون منهم القادة والساسة والعلماء والمشرعين، وجعلهم يدينون بعقيدة راسخة هي الإسلام، ويعملون على نشره في كل العالم لخير الإنسانية، كما أن الإسلام استطاع أن يوحد العرب ويقضي على العصبية القبلية، ويقويهم من بعد ضعف وان يؤلف بين قلوبهم من بعد فرقة، ويخلق منهم أمة واحدة متحابة وبوفاة الرسول (ص) ينتهي عصر الرسالة ليبدأ عصر جديد من تاريخ الدولة العربية الإسلامية ألا وهو عصر الخلافة الراشدة.